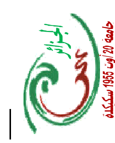
العنصر العربي بالمسيلة وقلعة بني حماد خلال العصر الوسيط "قراءة في الأدوار والتأثيرات".

The Arab element in Msila and The Castle of Beni Hammad During the medieval era - Reading in the roles and impacts -



مجلة البحوث والدراسات الإنسانية العدد 13-2016 ص ص. 9 – 30

د.بشـر مبـارك
(جامعة الجلالي يابس – سيدي بلعباس)
Email : mebarekhistoir@yahoo.fr

الملـــــخص

تذكر مصادر التاريخ أن العنصر العربي دخل إلى المغرب الأوسط في خضم الفتوحات الإسلامية أولا ثم مع هجرات بني هلال وبني سليم ثانيا، تلك الهجرات التي انطلقت من صعيد مصر بإيعاز من الخليفة الفاطمي، فانتشروا في المنطقة – المغرب الأوسط – وفي دراستنا هذه يهمنا تلك القبائل العربية التي استقرت بالمسيلة وقلعة بني حماد .

إذن فما هو حظ المنطقتان من الهجرات الهلالية، وكيف أثّر العرب فيهما؟

الكلمات المفتاحية: العرب – بني هلال- قلعة بني حماد- المسيلة- تخريب القلعة.

Abstract

Some historical resources mention that the Arabic race entered the Middle Maghreb, through, firstly, the Islamic Openings. Secondly, with the immigrations of Beni Hillal and beni Salim. Those immigrations started from Said of Egypt due to the order which was given by the Fatmieen Khalif .They spread in that area - Middle Maghreb –

In this study, we are concerned with those Arabic tribes that had in FL-Messila and beni Hammed Callâ.

So, what were t hose two opportunities from the crescent Immigrations? And how did the Arab affect them? Hillalian.

Keywords *: Arab – Bani Hillal - Hammed Castle - Sabot*

مقدمة:

الجنس العربي أحد الأجناس السامية وأكثرها محافظة على خصائص الساميين، أما اللّغة العربية هي أحد اللّغات السامية، والعرب هم الجنس الأول الذي تلقى الإسلام وحمل ألويته ودعوته ويطلق هذا الاسم – العرب- على الأقوام التي عاشت في شبه الجزيرة العربية(أحمد معمور العيسري،م.1996: 38) هذا الوطن يقع في الطرف الغربي من آسيا يحده شمالا الشام وشرقا العراق والخليج العربي وجنوبا المحيط الهندي وغربا البحر الأحمر(مبارك الميلي،ت،ج02،1963: 14) ويتكون من اليمن في الجنوب وتشمل حضرموت، وسهرة، والشحر، وعمان من أشهر مدنه صنعاء، وعدن،ثم تهامة وهي غرب الجزيرة على بحر قلزم بين اليمن والحجاز، ثم الحجاز وهو يلي تهامة شمالا على البحر ومن مدنه الطائف، ومكة، وجدة، والمدينة، ثم نجد في وسط الجزيرة وهو هضبة فسيحة، ثم اليمامة وهي بين نجد واليمن(مبارك الميلي، ت، ج02، 1963: 13-14) .

لقد قسّم المؤرخون العرب إلى أربع طبقات وهي:العرب البائدة، والعرب العاربة، والعرب المستعربة وأخيرا العرب المستعجمة وهم الذين انتقلوا إلى بلاد المغرب مع الهجرات الهلالية سموا بالمستعجمة لما تبدل لساهم ومالوا إلى العجمة، يقول ابن خلدون " ... هي قبائل من العرب موفورة العدد ... فتحوا الأمصار والأقاليم ... أما من مضر فقريش وكنانة وخزاعة وبنو أسد وهذيل وتميم وغطفان وسليم وهوزان وبطونها من ثقيف وسعد بن بكر وعامر بن صعصعة، وأما من ربيعة فبنو ثعلب بن وائل ... هؤلاء كلهم أنفقتهم الدولة الإسلامية العربية ... أكلتهم الأقطار المتباعدة... ثم إن اللّسان المضري الذي وقع به الإعجاز ونزل به القرآن فثوى فيهم وتبدّل إعرابه فمالوا إلى العجمة ... واستحقوا أن

يوصفوا بالعجمة من أجل الإعراب. فلذلك قلنا فيهم العرب المستعجمة..."(ابن خلدون، العبر، ج06، 2000، 4-6).

أرسل الله تعالى إلى العرب أربعة رسل وهم: شعيب، هود، صالح عليهم السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، فهود عليه السلام أرسل إلى قوم عاد بالأحقاف بعدما عبدوا الأصنام قال تعالى:" وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ"(سورة الأعراف الآية رقم 65) واستمروا في طغيانهم حتى أهلكوا، أما صالح عليه السلام فأرسل إلى ثمود التي عبدت الأصنام وطلبوا منه أن يخرج لهم ناقة من صخرة صماء فأخرج الله المعجزة ومع ذلك بقوا على كفرهم فقتلوا الناقة لذلك أهلكوا قال تعالى "كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا"(سورة الشمس، الآية رقم 11-15)، أما شعيب عليه السلام فأرسل إلى أهل مدين الفاسدين هؤلاء عرفوا بقطع الطريق وإنقاص الكيل وعبدوا شجرة ضخمة " الأيكة"، قال تعالى:" وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ ۚ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ"(سورة هود، الآية رقم 84) فاستمروا في تكذيبهم فأبادهم الله .

أما القسم الثاني من العرب الباقون حتى الآن وهم بنو قحطان وبنو عدنان، فبنو قحطان هم العرب العاربة أي العرب الأصليين موطنهم الأصلي جنوب الجزيرة ومنهم ملوك اليمن، والمناذرة، والغساسنة، وملوك كندة ،ومنهم الأزد الذين تفرع منهم الأوس، والخزرج، أما بنو عدنان فهم العرب المستعربة اللّذين اكتسبوا اللّسان العربي وهم عرب الشمال موطنهم الأصلي مكة المكرمة،

وهم ذرية إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام ومنه انحدرت القبائل العربية(أحمد معمور العيسري،م.1996: 40). وقد انتشر على يد إسماعيل ديانة أبيه إبراهيم عليه السلام، ثم عبدت العرب الأصنام والأوثان والطواغيت، هذه الوثنية لم يرضاها المولى عز وجل فأرسل إليهم ولكافة المعمورة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليمحوها من قلوبهم(مبارك الميلي، ت،ج02، 1963: 15-16).

لقد كتبت بعض الدراسات الحديثة عن العرب تصف تقويمهم الفسيولوجي" والعرب هم الممثلون الرئيسيون لما دعاه أوغين فيشر Eugen Fischer الجنس الشرقي " الذي يمتاز بالرأس الطويل والوجه الضيق بنتوء مؤخرة الجمجمة كما يمتاز بالقامة المربوعة والبنية المهزولة إنه ضرب من جنس البحر الأبيض المتوسط السائد في الشمال الإفريقي ولقد اختلطوا بالجنس المعروف بجنس الشرق الأدنى"(كارل بروكلمان،ت، 1968، 15) ، أما ابن خلدون في ديوانه نجده يطيل لحديث عنهم فيصف طريقة عيشهم ومناطق وطبيعة سكناهم حيث يقول: " اعلم أن العرب منهم الأمة الراحلة الناجعة، أهل الخيام لسكناهم والخيل لركوبهم والأنعام لكسبهم يقومون عليها ويقتاتون من ألبانها، ويتخذون الدفئ والأثاث من أوبارها وأشعارها ويحملون أثقالهم على ظهورها...يبتغون الرزق في غالب أحوالهم من القنص، ويختطف الناس من السبل، ويتقلبون دائما في المجالات...وانتجاعا لمراعي غنمهم، وارتيادا لمصالح إبلهم الكفيلة بمعاشهم وحمل أثقالهم..."(ابن خلدون، العبر، ج06، 2000، 16-17)، جعل موطنهم الجغرافي بالإقليم الثالث الممتد مابين البحر المحيط من المغرب إلى أقصى اليمن وحدود الهند " فاختصوا لذلك بسكنى الإقليم الثالث ما بين البحر المحيط من المغرب إلى أقصى اليمن وحدود الهند من المشرق، فمصر واليمن والحجاز ونجدا وتهامة وما وراء ذلك

مما دخلوا إليه في المائة الخامسة...وصحاري برقة وتلولها وقسنطينة وأفريقية والمغرب الأقصى والسوس، لاختصاص هذه البلاد بالرمال والقفار المحيطة بالأرياف..."(ابن خلدون، العبر، ج 06، 2000، 17).

إنّ المصادر التاريخية تذكر لنا سبب تسميتهم بالعرب فترجع ذلك إلى البيان في الكلام والفصاحة في النطق يقول ابن خلدون: "...ثم إنّ العرب لم يزالوا موسومين بين الأمم بالبيان في الكلام والفصاحة في النطق ولذلك سموا بهذا الاسم فإنه مشتق من الإبانة لقولهم أعرب الرجل عما كان في ضميره إذ أبان عنه...فالبيان سمتهم"(ابن خلدون، العبر، ج 06، 2000، 17).

أما عن مواطنهم بشبه الجزيرة العربية فسنركز على قبائل بني هلال وبني سليم باعتبار أنّ هذه القبائل هي التي انتقلت من الحجاز والشام إلى صعيد مصر ومنه هاجرت إلى المغرب الإسلامي، فأما مواطن بني سليم فكانت فيما بين المدينة وخيبر وتيماء، أما بني هلال فمجالهم كان في بسائط الطائف إلى جبل غزوان شرقي مكة، هذه مواطنهم في الجاهلية، وبعد الإسلام حافظوا عليها مع توسعهم في غيرها(مبارك الميلي، ت،ج 02، 1963: 147-148)، والملاحظ على العرب –بني هلال وبني سليم- انتقلت طائفة من بني سليم إلى مصر ثم لحق بهم أحياء من هلال وأحلافهم واشتغلوا بالفلاحة، ودخل إخوانهم بشبه الجزيرة في دعوة القرامطة سنة(316 هــ/ 928مــ)، وحارب الفاطميون القرامطة بالشام وانتصر عليهم العزيز بن المعز فنقل كثيرا من بني سليم وهلال إلى صعيد مصر، ومن الصعيد نزحوا إلى منطقة المغرب الإسلامي بما فيه المغرب الأوسط.

اعتبارا لذلك كان موضوع التواجد العربي بالمغرب الأوسط عامة وقلعة بني حماد والمسيلة خاصة هو محور دراستنا هذه الموسومة بـــ: "**العنصر العربي بالمسيلة وقلعة بني حماد خلال العصر الوسيط- قراءة في الأدوار والتأثيرات".**

إنّ ما يلاحظ على الدراسات المتخصصة أنّها لم تفرد لموضوع التواجد العربي بالمنطقة دراسة خاصة مستقلة وإنما وجد الموضوع ضمن دراسات عامة مثل ما تناوله مبارك الميلي في كتابه " **تاريخ الجزائر في القديم والحديث الجزء الثاني**"، وما تطرق إليه أحمد توفيق المدني في كتابه " **كتاب الجزائر** "، أو المقال الذي كتبه الاستاذ الدكتور علاوة عمارة بعنوان" **الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب**"وخلال هذه المداخلة سأرسم لوحة تاريخية عن العرب بالمسيلة وقلعة بني حماد وتأثيراتهم سلبا وإيجابا.

تتمحور الإشكالية التي تطرحها المداخلة في: التواجد العربي بالمسيلة وقلعة بني حماد للبحث في: واقع حياة العرب بالمنطقة، وللإجابة عن هذه الإشكالية يترتب علينا الإجابة عن تساؤلات فرعية أهمها:

- كيف تناولت المصادر الجغرافية منطقة مسيلة وقلعة بني حماد جغرافيا ؟
- متى كان أول اتصال للعرب بالمنطقة ؟
- ما هو حظ المدينتان من الهجرات الهلالية بعد قطع المعز للدعوة الفاطمية ؟
- هل حافظ العرب على عاداتهم وتقاليدهم المشرقية بعد استقرارهم بالمنطقة ؟
- هل كان للعرب الوافدين على مسيلة وقلعة بني حماد تأثيرات ؟
- ما طبيعة تلك التأثيرات ؟

للإجابة عن إشكالات البحث وتساؤلاته كان لا بد من اعتماد واستخدام منهج تاريخي معين بالرجوع إلى المادة العلمية المبثوثة في مختلف أنواع المصادر

التاريخية التي تناولت الموضوع أو طرقته في إحدى جوانبه، وحينما يتعذر علينا الحصول على المادة التاريخية نميل إلى استقراء مختلف الأفكار واستنتاج بعض الحقائق وذلك بمقارنة النصوص التاريخية مع بعضها البعض .

02- اتصال العرب بمنطقة المغرب الإسلامي:

قبل الخوض في الحديث عن مواطن العرب بمسيلة وقلعة بني حماد يتوجب علينا الحديث عن حركتهم من المشرق الإسلامي إلى منطقة المغرب الإسلامي مع الفتوحات الإسلامية أولا، ثم مع الهجرات الهلالية من صعيد مصر نحو المنطقة ثانيا .

كان أول اتصال للعرب بالشمال الإفريقي- المغرب الإسلامي- مع الفتوحات الإسلامية، في عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث أصدر سنة (27هـــ / 647 مـــ) أمرا لواليه على مصر عبد الله بن أبي سرح العامري بالهجوم على إفريقية فقدمها بعشرين ألف مقاتل تمكن من خلالها دخول سبيطلة، ثم وجّه العرب حملات أخرى نحو المنطقة أيام الأمويين في خلافة معاوية بن أبي سفيان الذي وجّه جيشا بقيادة معاوية بن حديج السكوني الكندي سنة(45هـــ / 665مـــ) تمكن من خلالها فتح العديد من المناطق مثل: سوسة، وبترزت، وجربة واستمر فتح المنطقة مع بقية القادة على رأسهم عقبة بن نافع الفهري خلال الولايتين، هذا الأخير يعتبر أول من ثبّت قدم العرب هناك بعد تأسيسهلمدينة القيروان سنة (50هـــ /670مـــ)، (الحسن الوزان،و،ج 02،1983 :40)، خلال هذه المرحلة اقتصر سكن العرب على المدن غير مزاحمين للبربر، (مبارك الميلي، ت، ج02، 1963: 45).

إن هجرات العرب نحو المنطقة له علاقة مباشرة بالفاطميين بمصر، كيف ذلك ؟

إذن فما علاقة الفاطميين بالهجرات العربية – بني سليم وبني هلال- من صعيد مصر نحو المغرب الإسلامي ؟

لما رحل بنو عبيد إلى مصر كان ملوك صنهاجة يدعون لهم على المنابر بإفريقية، وكان المعز ابن باديس صغيرا إذ ولي الحكم وهو ابن الثمانية، ومنذ صغره كان حريصا على الاهتمام بمذهب مالك، وفي بعض الأعياد خرج إلى المصلى وهو غلام فتعثر فرسه فقال: " أبو بكر وعمر" يعني بذلك الخليفتان أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فسمعته الشيعة فبادروا إليه ليقتلوه فجاءه عبيده ورجاله ومن كان يكتم السنة من أهل القيروان ووضعوا السيف في الشيعة فقتل منهم الكثير ..." (المراكشي،ب،ج 01،1983 :274)، وخلال سنة (433هـ/1041مـ) أظهر الدعوة للعباسيين، ثم أمر بقطع الخطبة لصاحب مصر ولعن الفاطميينفي الخطب سنة (440هـ /1048مـ) وقد أوردت لنا مصادر التاريخ قوله هذا: " اللّهم العن الفسقة الكبار، المارقين الفجار، أعداء الدين وأنصار الشيطان، المخالفين لأمرك ... وأن سيدنا أبا تميم المعز بن باديس بن المنصور القائم لدينك والناصر لسنة نبيك والرافع للواء أوليائك..." (المراكشي،ب،ج1983،01،277-278).

كانت هذه الأخبار قد وصلت إلى الخليفة الفاطمي بالقاهرة، وكان العرب من هلال وبطونهم بصعيد مصر قد زاد ضررهم على الدولة، فأشار الوزير أبو محمد الحسن بن علي اليازوري على الخليفة بتولية هؤلاء أعمال إفريقية (ابن خلدون، العبر، ج06، 2000: 19) خاصة وأن الصعيد أصبح لا يسعهم وما تنتجه الأرض لا يكفيهم(الحسن الوزان، و، ج02 ،1983 : 45) يقول ابن خلدون:" فبعث المنصور وزيره على هؤلاء سنة(441هـ /1049مـ) وأرضخ لأمرائهم في

العطاء ووصل عامتهم بعيرا ودينارا لكل واحد منهم، وأباح لهم إجازة النيل . وقال لهم أعطيتكم المغرب ..." (ابن خلدون، العبر، ج 06، 2000، 20)، فوافقت العرب على ذلك وأجازوا النيل ونزلوا في برقة، ثم كتبوا لإخوانهم بمصر يرغبونهم في اللحاق بهم فأجازوا إليهم بعدما دفعوا ديناران لكل رأس، وتنافسوا على البلاد، ووصلوا إفريقية سنة (443هـــ/1051مـــ)، واقتسموا البلاد سنة (496هـــ/ 1102مـــ) (أحمد توفبق المدني، هــ، دون تاريخ: 29 – 30)فحصل بني سليم على شرق المنطقة، وبني هلال على غربها(ابن خلدون، العبر، ج06، 2000: 21-22)، هؤلاء العرب الذين دخلوا إفريقية وما يليها من الطبقة الرابعة– العرب المستعجمة – كما جات تسميتها في ديوان العبر(الحسن الوزان،و، ج02،1983،21-22)،وقد وصف ابن خلدون الطريقة الفوضوية التي دخلوا بها إلى المنطقة قائلا:" أقامت لهب بني سليم وأحلافها ... بأرض برقة وسارت قبائل دياب وعوف وزغبة وجميع بطون هلال إفريقية كالجراد المنتشر، لا يمرون بشيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا إفريقية سنة (443هـــ/ 1051مـــ)" (ابن خلدون، العبر، ج06، 2000: 20) .ثم واصلوا تحركاتهم إلى أن انتشروا في كامل أنحاء المغرب الإسلامي .

والسؤال المطروح هنا متى كان أول اتصال للعرب بالمغرب الأوسط ؟

03- اتصال العرب بالمغرب الأوسط:

إنّ أوّل اتصال للعرب بالمغرب الأوسط جاء في خضم الفتوحات العربية الإسلامية، حيث دخل إليه أبا المهاجر دينارا وعقبة بن نافع الفهري، وحسان بن النعمان فاتحين الدول (مبارك الميلي، ت،ج 02، 1963: 24-26-32)، لكن تواجدهم في المنطقة برز بشكل كبير مع الهجرات الهلالية، حيث دخلوه من ثلاث

جهات وهي: "الجهة الأولى جهة الساحل حيث تقطن كتامة تقدموا إليها من باجة فانتشروا بالقالة وعنابة وقسنطينة، أما الجهة الثانية فهي جهة الهضاب ما بين الأطلسين التلي والصحراوي حيث الحماديين، تقدموا إليها من ناحية الأربس، أما الجهة الثالثة هي جهة الصحراء حيث تكثر خيام زناتة تقدموا إليها من ناحية سبيبة إلى تبسة وانتشروا جنوب أوراس على قرى الزاب" الدول (مبارك الميلي، ت،ج 02، 1963: 151).

إذن فما هو حظ قلعة بني حماد ومسيلة من هذه الهجرات ؟

04- المعالم الجغرافية لمدينتي مسيلة وقلعة بني حماد :

قبل الحديث عن مواطن العرب بالمنطقة يتوجب علينا تحديد المعالم الجغرافية للمدينتان معتمدين في ذلك على ما أوردته لنا بعض كتب الجغرافيا والرحلات.

فأما مسيلة فقد وصفتها لنا كتب الجغرافيا والرحلات، يقول الحسن الوزان:"مسيلة مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نوميديا على بعد نحو مائة وأربعين ميلا من بجاية، الأسوار المحيطة بها جميلة بخلاف الدور فإنها قبيحة، السكان كلهم صناع أو فلاحون، يرتدون لباسا رديئا لفقرهم بسبب جيرانهم الأعراب الذين يسلبونهم مداخيلهم وملك بجاية الذي أثقل كاهلهم بالضرائب، وقد اندهشت بالفقر السائد بمسيلة عند مروري بها، فلم أجد الشعير لفرسي ولليلة واحدة إلا بمشقة، ولو أقمت بها ليلة أخرى لما تمكنت من الحصول على ذلك لكثرة البؤس والفاقة السائدين في المدينة"(الحسن الوزان، و،ج 52،1983،02).

أما البكري فقد صف المدينة قائلا:"تخرج من القلعة إلى مدينة المسيلة وهي مدينة جليلة على نهر يسمى نهر سهر أسّسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله سنة

(313هـــ /925مـــ) وكان المتولي على بنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي واستعمله القائم عليها فلم يزل بها إلى أن هلك في فتنة أبي يزيد وبقي ابنه جعفر فيها وصار أميرا على الزاب كله إلى أن خرج عنها سنة(360هـــ/970مـــ)، وهي مدينة في بساط من الأرض عليها سوران بينهما جدول ماء جار يستدير بالمدينة وله منافذ تسقى منها عند الحاجة، وللمدينة أسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر وبها عقارب مهلكة، وبقرب منها مدينة عجيسة، وهوارة، وبني برزال ولهم كانت أرض المسيلة موضع يعرف بالغباب فيه، فباب من بنيان الأول خربة يقال لها بشليفة فيها جدولان من ماء عذب، سمت الشيعة المسيلة بالمحمدية، ونهر سهر الذي عليه مدينة المسيلة منبعثة من عيون داخل مدينة غدير واروا وهي مدينة كبيرة أولية بين جبال" (البكري،م،دون تاريخ: 59).

وأما أحمد توفيق المدني فيصفها قائلا:"مسيلة قرية جميلة فسيحة تتخللها قنوات المياه، يجري إلى جانبها واد القصب، وبها صناعة يدوية أهلية جميلة وفقيرة أهمها التطريز بأسلاك الذهب والحرير على الجلد، كانت المسيلة في القرون الوسطى ذات قيمة كبيرة، تأسست بها إمارة الحمدونيين ترقى بها الوسط الأدبي ثم تدهورت وكادت تضمحل، ومسيلة أهم قرى سهل الحضنة وشرقي سهل الحضنة توجد خرائب مدينة طبنة التي كانت عاصمة الزاب الأغلبي (أحمد توفبق المدني، **هــ**، دون تاريخ: 238) .

اختطّ المدينة أبو القاسم بن عبيد الله المهدي وسماها بالمحمدية، ثم أولى على الزاب الفاطمي أبا الحسن عليا بن حمدون فاتخذ مركز إدارته المسيلة وأصبحت بذلك مسيلة عاصمة إسلامية كبرى ذات عمران متسع ومدينة شامخة،

إلى أن قضى عليها بلكين بن زيري بن مناد سنة (362هـ/972م)، وبلكين هذا مؤسس دولة صنهاجة بتونس"(أحمد توفيق المدني، **هـ**، دون تاريخ: 24) .

برزت المدينة أيام الحماديين، حيث عقد منصور بن بلكين لأخيه حماد على أشير والمسيلة ليستكفي به مواجهة زناتة، ولما توفي المنصور خلفة ابنه باديس وعين عمه حماد على عمله مستعينا به في إخماد الثورات، وفي سنة (395هـ/1004م) كلفه بحرب زناتة فاشترط عليه ولاية المغرب الأوسط فوفى له بذلك،وفي سنة (403هـ/1012م) أرسل صاحب مصر إلى باديس بولاية العهد لابنه المعز، فقدّم باديس طلب لحماد يتنازل فيه عم قسنطينة وتيجيس للمعز، فرفض حماد ذلك، الأمر الذي أدى إلى نشوب حرب أسفرت عن تأسيس الدولة الحمادية (مبارك الميلي، ت،ج 02، 1963: 189-190**)**.

أما قلعة بني حماد فقد تأسست سنة (398هـ/1007م)من قبل حماد الصنهاجي وبقاياها لا تزال إلى اليوم باسم قلعة بني حماد، وكان حماد هذا قد خلع بيعة الفاطميين سنة (387هـ/997م)، وأعلن الولاء للعباسيين، وانفصل عن دولة صنهاجة التي كان يتولاها ابن أخيه باديس، وأسس دولة بني حماد الكبرى فجعل عاصمتها أولا القلعة ثم أسس أبناءه من بعده مدينة بجاية سنة (460هـ/1068م) (أحمد توفبق المدني، **هـ**، دون تاريخ: 25**)**.

05- القبائل العربية المستقرة بالمسلة والقلعة:

إن القبائل العربية التي استقرت بمسيلة وقلعة بني حماد تذكر المصادر والدراسات أنّهم من الطبقة الرابعة– العرب المستعجمة- وخاصة من بني هلال وبطونهم كالأثبج، ورياح، وزغبة وإلى جانبهم جشم، والمعقل حلفاء بني هلال، ومنهم: الضحاك، وعياض، ومقدم، والعاصم، ولطيف، ودريد، وكرفة، وتعتبر

عياض من أهم بطون بني هلال التي استقرت بجبل قلعة حماد(فايزة محمد، غ،1980: 99)، يقول ابن خلدون:"وعياض نزلوا بجبل القلعة قلعة بني حماد، وغلبوا قبائله على أمرهم وصاروا ا يتولون جبايتهم..."(مبارك الميلي، ت،ج02، 1963: 161).

إضافة إلى رياح فقد ذكرت النصوص أنّها من بين أعز قبائل بني هلال وأكثرهم جمعا، وهم رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر، من أهم بطونهم مرداس، وقد تمكنت رياح من مد نفوذها على حساب أقربائها من الأثبج إلى قسنطينة والمسيلة والزاب (فايزة محمد، غ،1980: 163).

ويذكر أحمد توفيق المدني أنّ هيمان وزغبة ارتادت السهول والهضاب العليا صحبة بقايا زناتة البربرية (أحمد توفبق المدني، هـ، دون تاريخ: 140)، ورغم عدم إفصاحه عن استقرار هذه القبائل بالقلعة أو المسيلة، إلا أنه يمكننا القول أن هذه القبائل استقرت بالمنطقة،فهذه البطون استقرت بالهضاب ومسيلة والقلعة تدمج حاليا ضمن هذا الإقليم،ويذكر أيضا أن بعض القبائل العربية المختلطة قد استقرت بالقلعة ويذكر من بينها قبيلة الذواودة العربية التي استقرت ما بين الزاب والحضنة (أحمد توفبق المدني، هـ، دون تاريخ: 140)، والذواودة أولاد ذاود من بطون مرداس (مبارك الميلي، ت،ج02، 1963: 163).

إضافة إلى أولاد مسلم من بني هلال الذين سكنوا بالمسيلة (مبارك الميلي، ت،ج02، 1963: 166)، والأثبج الذين أقطعهم الحماديين أعمال الزاب والحضنة وضواحي القلعة (مبارك الميلي، ت،ج02، 1963: 205)، هؤلاء الأثبج نشبت بين بطونهم حروبا طاحنة (مبارك الميلي، ت،ج02، 1963: 205).

06- سلبيات وإيجابيات التواجد العربي بالمسيلة والقلعة:

لقد سجلت لنا نصوص التاريخ مجموعة من الأدوار والتأثيرات السلبية والإيجابية للتواجد العربي بالمنطقة يمكننا خصرها في ما يلي حسب ما توفر لدينا من مادة علمية .

07- السلبيات:

كان للتواجد العربي بالمنطقة سلبيات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر تلك الحروب الأهلية التي نشبت بين القبائل الوافدة كالحرب التي اشتعلت نيرانها بين الأثبج ورياح حين أرسلت رياح إلى الأثبج يحذروهم مساعدة الناصر بن علناس (مبارك الميلي، ت،ج02، 1963: 203)، وكذلك الحروب التي دارت بينهم وبين دولة بني حماد خلال مرحلة حكم الناصر بن علناس، ونحن نعرف جيدا أثار الحروب على البلاد والعباد، فتذكر النصوص أن العرب تبعوا الناصر إلى قسنطينة ثم القلعة، والمسيلة، وطبنة، ينهبون ويخربون، لذلك اختط بجاية هربا منهم (مبارك الميلي، ت،ج02، 1963: 203)،وزاد تخريب العرب للقلعة أيام العزيز حين اكتسحوها (مبارك الميلي، ت،ج02، 1963: 203).

إضافة إلى ما سبق ذكره نجد الحسن الوزان يذكر لهم سلبيات أخرى علما أنه لم يذكر عرب القلعة أو المسيلة أو الحضنة صراحة، لكن نجده يحدد طبائع عرب الشمال الإفريقي عامة، فيتكلم عن أعمال وطبائع عرب نوميديا أولا، ثم يذكر أعمال العرب المستقرين ما بين الأطلس الصحراوي والبحر المتوسط، وهي المنطقة التي تدخل ضمنها مسيلة والقلعة، وعموما من السلبيات التي ذكرها عنهم الوحشية والخيانة (الحسن الوزان،و،ج02،1983، 63).

أما ابن خلدون فهو الآخر نجده يستفيض في الحديث عن وحشيتهم وأعمالهم التخريبية بالقلعة والمسيلة قائلا:"... ثم لحقوا القلعة فنازلوها وخربوا جنباتها وأحبطوا عروشها، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار، ثم طبنة والمسيلة فخربوها وأزعجوا ساكينها، فعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن وأوحش من جوف العير، وغوّروا المياه واحتطبوا الشجر وأظهروا في الأرض الفساد،... و لم يزل هذا دأبهم حتى لقد هجر الناصر بن علناس سكنى القلعة، واختط بالساحل مدينة بجاية ..." (ابن خلدون، العبر، ج06، 2000: 27) .

وفي موضع آخر يواصل ابن خلدون الحديث عن أعمالهم التخريبية فيقول:" أغاروا على الضواحي وأفسدوا السابلة وأغاروا على الحجاج أيام الحج" (ابن خلدون، العبر، ج06، 2000: 18) .

إنّ كلام ابن خلدون حول العرب أثبتهفي مقدمته بقوله: "أنّ العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب، لأهم من الأمم الوحشية:"إنّهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة، وكان عنهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم، وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له. فغاية الأحوال العادية عندهم الرحلة والتغلب..." (ابن خلدون،م،2004: 151) .

كما نجده يواصل الحديث عن خرابهم، فيذكر أن الحجر بالنسبة إليهم وسيلة للقدر:"فالحجر مثلا إنّما حاجتهم إليه لنصبه أثافي القدر، فينقل من المباني ويخربونها عليه، ويعدونه لذلك..." (ابن خلدون،م،2004 : 151)، ونفس الشيء بالنسبة للخشب الذي يستعملونه لبناء خيامهم فيقول:" والخشب أيضا إنّما

حاجتهم إليه ليعمدوا به خيامهم ويتّخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك..." (ابن خلدون،م، 2004 : 151) فتلك طبيعتهم المنافية للعمران والبناء حسب العلامة ابن خلدون .

ومن طبائعهم أيضا نهب ما بأيدي الناس فكلما وقعت أعينهم على متاع أو مال إلا أخذوه، وذلك هو همهم الوحيد (ابن خلدون،م، 2004 : 152) .

لكن إذ ما دققنا النظر في كلام ابن خلدون نجد فيه شيء من الغرابة، حيث اتهم العرب بأنهم حطموا مدنيات بلاد المغرب، وكانوا في هذه البلاد عنصر فساد وتخريب، وذهب البعض إلى نعتهم بالوندال المخربين،فهذا حكم أصدر عن جهل فالعرب الذين دخلوا المنطقة لم يكونوا متحضرين وهذه حقيقة لا ريب فيها فهم قدموا من الصعيد المصري ببداوته العربية يحملون الأخلاق العربية وكل ما في العرب من محاسن ومساوئ، فهجرتهم كانت بغرض الاستقرار لا الغزو ثم يعودوا أدراجهم من حيث أتوا ، وهنا يلقى اللوم على دولة بني حماد التي اعتبرت الأعراب النازحين عدوا يجب مقاومته، لذلك أخذت نيران الحروب تشتعل بين الطرفين و لم يستقر العرب بالبلاد إلا بعد عناء طويل (أحمد توفيق المدني، هـ، دون تاريخ: 26).

ولهذا يجب إعادة النظر في كلام ابن خلدون الذي ربما كان متحاملا على العرب، فهذا الكلام وبهذه الحدّة لم نجده في بقية المصادر مثل الحسن الوزان، لذلك لا ندري سبب وصف ابن خلدون لهم بأبشع الأوصاف، وإذا دققنا النظر في كتابه العبر الجزء السادس وفي حديثه عن عرب الحجاز فلا نجده يذكر عنهم هذه السلبيات .

إذن إنّ هذا الموضوع جد حساس يحتاج إلى دراسة عميقة متخصصة .

ب- الإيجابيات:

رغم السلبيات التي ذكرتها نصوص التاريخ عن العرب بالمنطقة، إلا أن تواجدهم كان له إيجابيات منها: إدخال خصائص العرب كتربية الخيول، الأمر الذي ساهم في نشر ثقافة رياضة ركوب الخيل، تيمنا بحديث المصطفى صلى الله عليه وسلم:"علّموا أبنائكم السباحة والرماية وركوب الخيل"، ضف إلى ذلك فتربيتها وتدريبها يجعلها جاهزة لخوض الحروب ضد الأعداء،فالخيل كان أبرز أركان الجيوش آنذاك، علما أن المنطقة لم تعرف الاستقرار السياسي في مختلف الفترات التاريخية،يقول الحسن الوزان:"... يملكون خيولا أحسن من خيول الصحراء بكثير إلاّ أنّها أقل سرعة في السباق... "(الحسن الوزان، و، ج02،63،1983) .

كما ساهم العرب أيضا في إدخال بعض الصناعات التقليدية إلى المنطقة كصناعة السروج، والخيام التي تفنّنوا فيها، وفي ذلك قال الحسن الوزان:"...إنهم أكثر هناء وغنى من العرب المذكورين آنفا لا سيما فيما يخص اللّباس وأسراج الخيول وجمال الخيام..."(الحسن الوزان،و، ج02،63،1983) .

وكان لهم دور إيجابي في تنشيط الزراعة بالمنطقة حيث اهتموا بحرث الأرض وفلاحتها، وربوا الأغنام والبقر، ولا يخفى على أي واحد منا أهمية العناية بهذا المجال من الناحية الاقتصادية لأي دولة أيام الحر وبخاصة وأن المغرب الأوسط لم يعرف استقرارا سياسيا كما أشرنا إلى ذلك سابقا:"... فيحرث هؤلاء العرب أرضهم فيحصلون منها على كميات وافرة من الحبوب ويكسبون عدد لا يحصى من الغنم والبقر ..."(الحسن الوزان،و، ج02،63،1983).

أما بقية الأمور الإيجابية التي صبغ بها العرب المنطقة وهو ليس غريب عليهم الكرم، يقول الحسن الوزان:"...وهم أكثر وحشية وخيانة من عرب الصحراء، إلا أنهم كرماء" (الحسن الوزان،و، ج02، 62، 1983 - 63).

كما صبغ العرب المنطقة بالصبغة العربية للأبد، فأعطوا بذلك الهوية العربية إلى كامل الشمال الإفريقي (أحمد توفبق المدني، **هـ**، دون تاريخ: 26)، وبالتالي فإذا كان الفتح الإسلامي قد حوّل منطقة المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة إلى بلد مسلم فإن الغزو الهلالي قد حوله إلى بلد عربي، فالغزوة الهلالية قد أحدثت تعديلا جنسيا حولت عادات سكانه وتقاليدها إلى العربية فكان تأثير العرب في البربر اجتماعيا ولغويا(فايزة محمد، غ، 1980: 179)، فاستحكمت عروبة الألسنة بالمنطقة، وصار للعربية السيادة والهيمنة في كل جزء من أجزائها، فساعدت بذلك أن تكون لتلك البلاد شخصيتها العربية الواضحة (فايزة محمد، غ، 1980: 185) .

كما أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى بعض الإيجابيات التي جاءت بها قبائل بني هلال كالشجاعة، وعزة النفس، وحفظ العهد، وحسن الجوار، والاعتراف بالجميل، وعنايتهم بالأنساب (مبارك الميلي، ت، ج02، 1963: 154-157)، فالرسول صلى الله عليه وسلم دعا إلى الاهتمام بالنسب فقال:" تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة في المال، منسأة في الأثر"(الترمذي، ج، 2009 : 88)

الـــخاتـــمـــة:

من خلال هذه الدراسة المتواضعة يمكننا الخروج بالنتائج التالية :

- يعد ديوان العبر لابن خلدون خاصة الجزء السادس منه المصدر الأول لتحديد مواطن العرب بالمغرب الأوسط عامة وقلعة بني حماد ومسيلة خاصة .

- إنّ انقلاب المعز بن باديس عللى الفاطميين وقلاقل العرب في الصعيد ضدهم كانا سببان مباشران لتروح العرب اتجاه بلاد المغرب .

- تعتبر معركة سبيبة بين الحماديين والعرب سبب مباشر لدخول العرب إلى المغرب الأوسط .

- اختار العرب النازحين ناحية الأربس للولوج إلى القلعة والمسيلة .

- إن العرب المستوطنون بالمغرب الأوسط عامة ومسيلة والقلعة خاصة غالبيتهم من بني هلال وأحلافهم، أما بنو سلين فجلهم استقر بالمغرب الأدنى .

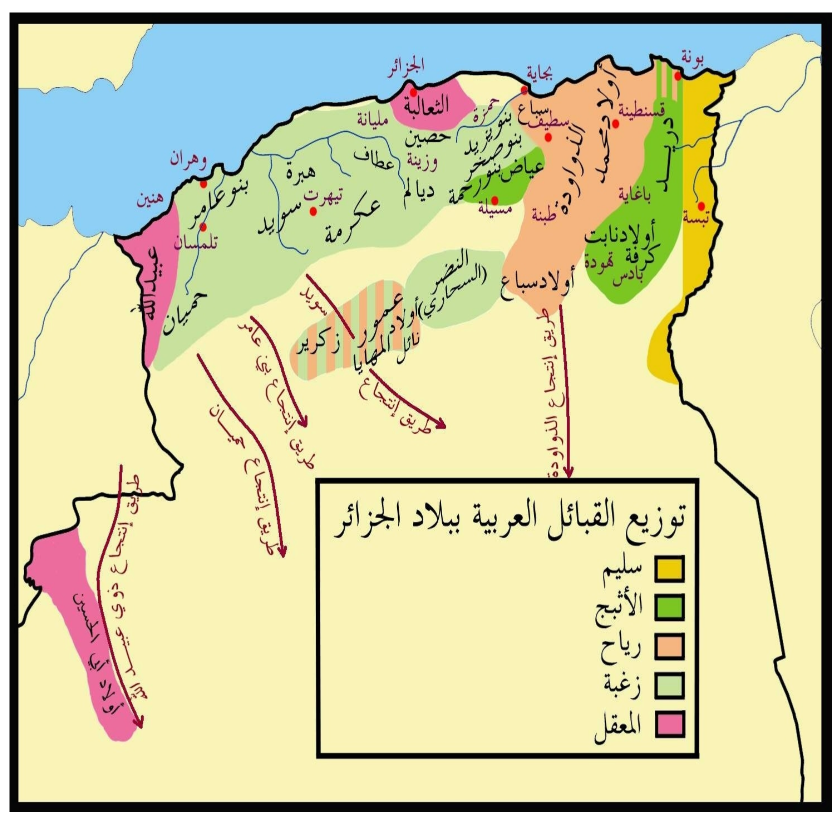
- تعتبر قبائل الأثبج، ورياح، وعياض، وزغبة، والمعقل، والضحاك، ودريد، وكرفة، ابرز القبائل العربية الهلالية التي استقرت بالقلعة والمسيلة .

- كان للتواجد العربي بالقلعة ومسيلة مجموعو من التأثيرات منها ما هو سلبي ومنها ما هو إيجابي .

- رغم ما قيل عن سلبيات الدخول العربي للمنطقة إلا أن إيجابياتهم تطغى على سلبياتهم .

- إنّ موضوع التواجد العربي وتأثيراته بالمغرب الإسلامي عامة والمسيلة والقلعة خاصة وبالأخص ما ذكره ابن خلدون يحتاج إلى دراسة دقيقة وعميقة .

الملحق رقم 01: خريطة توزيع القبائل العربية بالمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط



الخريطة مأخوذة من صفحة القبائل العربية الهلالية في الجزائر على الويب
https://web.facebook.com

الملحق رقم 02: خريطة لتوزيع القبائل العربية بالمغرب الأوسط خلال القرن 08 هــ/ 14مــ



الخريطة مأخوذة من صفحة القبائل العربية الهلالية في الجزائر على الويب https://web.facebook.com

المصادر والمراجع

أ- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم .

ب – المصادر :

01- ابن خلدون عبد الرحمن (732- 808هـ / 1332- 1406مـ)، **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة ومراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000 .

02- ابن خلدون عبد الرحمن، **مقدمة**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004مـ .

03- البكري أبي عبيد، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ .

04- الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت279هـ/892مـ)، **الجامع الكبير سنن الترمذي، باب ما جاء في تعليم النسب**، ، حققه وخرج أحاديثه وعلّق عليه، شعيب الأرنؤوط، هيثم عبد الغفور، ج 04، دار الرسالة العالمية، ط01، 2009مـ .

05- الحسن الوزان بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا، ج 01**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02، 1983مـ

06- المراكشي ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج01**، تحقيق ومراجعة كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان،ط 03 ، دون تاريخ .

ت- المراجع :

01- العيسري أحمد معمور ، **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام تاريخ ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر 1417هـ / 1996مـ**، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الدمام، السعودية ، ط 01، 1996مـ.

02- المدني أحمد توفيق ، **هذه هي الجزائر**، مكتبة النهضة المصرية، دون تاريخ

03- // // // ، **كتاب الجزائر تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها ونظاماتها وقوانينها ومجالسها وحالتها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية**، طباعة ونشر المطبعة العربية، الجزائر، 1931 .

04- الميلي مبارك بن محمد الهلالي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 02**، مكتبة النهضة الجزائرية، 1963مـ .

05- بروكلمان كارل ، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية نبيد أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 05، 1968.